

أضواء البيان

@ 380 { بِرَالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ } قيل : تتعلق ب (ما أرسلنا) داخلاً تحت حكم الاستثناء مع (رجالاً) أي وما أرسلنا إلا رجالاً بالبينات ، كقولك : ما ضربت إلا زيداً بالسوط . لأن أصله ضربت زيداً بالسوط . وقيل : تتعلق بقوله (رجالاً) صفة له ، أي رجالاً متلبسين بالبينات . وقيل : تتعلق ب (أرسلنا) مضمراً دل عليه ما قبله . كأنه قيل : بم أرسلوا ؟ قيل : بالبينات . وقيل : تتعلق ب (نوحى) أي نوحى إليهم بالبينات . قاله صاحب الكشف . والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } . المراد بالذكر في هذه الآية : القرآن . كقوله : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَافِعُونَ } . .

وقد ذكر جل وعلا في هذه الآية حكمتين من حكم إنزال القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم :

إحدهما أن يبين للناس ما نزل إليهم في هذا الكتاب من الأوامر والنواهي ، والوعد والوعيد ، ونحو ذلك . وقد بين هذه الحكمة في غير هذا الموضع أيضاً . كقوله : { وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِلتَّبَيِّنِ لِمَا بَيَّنَّا لَكُمُ الْوَسْطَىٰ اخْتَلَفُوا فِيهِ } ، وقوله { إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ } الذِّكْرَ { . .

الحكمة الثانية هي التفكير في آياته والاتعاظ بها . كما قال هنا : { وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } . وقد بين هذه الحكمة في غير هذا الموضع أيضاً . كقوله : { كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } ، وقوله : { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُورَةُ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } ، وقوله : { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُورَةُ إِنْ أَمَّ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا } ، إلى غير ذلك من الآيات . قوله تعالى : { أَفَأَمِّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ } . أنكر الله جل وعلا على الذين يعملون السيئات من الكفر والمعاصي ، ومع ذلك يأمنون عذاب الله ولا يخافون أخذه الأليم ، وبطشه الشديد ، وهو قادر على أن يخسف بهم الأرض ، ويهلكهم بأنواع العذاب . والخسف : بلع الأرض المخسوف به وعودها به إلى أسفل . كما فعل الله

بقارون ، قال اﷲ تعالى فيه : { فَخَسَفْنَا بِهٖ وَبِءَاْرِهٖ الْاَرْضَ } . وبين هذا
المعنى في مواضع كثيرة . كقوله : { اَءَمِنْتُمْ مِّنْ فِى السَّمَاءِ اَنْ يَخْسِفَ
بِكُمْ الْاَرْضَ فَاجِدَا هِىَ تَمُورُ اَمْ اَمِنْتُمْ مِّنْ فِى السَّمَاءِ } ،